ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

نشأة المدارس المستقلة في الإسلام

مطبعة الازهر - بغداد

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

نشأة المدارس المستقلة

في الإسلام

مطبعة الازهر ـ بغداد

١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م

المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث موجز فى نشأة المدارس المستقلة فى الاسلام نشرت جانبا منه فى مجلة « الاجيـال(١) » وهى مجلة نقابة المعلمين فى العراق رأيت أن يطلع عليه اخوانى المعلمون والمدرسون والاساتذة ليصححوا خطأ طالما ردده الكثير منهم وهو ان المدرسة النظاميـة ببغداد أول مدرسة انشئت فى الاسـلام مستقلة عن المسجد . وقد أوردت من النصوص المعتبرة والوثائق التاريخية ما يفيد ان المدارس المستقلة فى الاسـلام انشئت قبل النظامية بأكثر من قرن من الزمن .

وقد حاولت فى هذا البحث أن أذكر المدارس منذ خروجها من الجامع حتى وصولهـا الى الجامعـة فقسمتها الى مدارس احادية وثنائيـة وثلاثية ورباعية بحسب عدد المذاهب الفقهية التى كانت تدرس فيها بالاضافة الى العلوم المختلفة الاخرى .

ثم أضفت الى البحث المذكور فصـلا آخر عددت فيـه ثمانى واربعين مدرسـة مـن مدارس بغـداد المسـتقلة عـدا دور القرآن ودور الحديث والبيمارستانات منذ افتتاح مدرسة أبى حنيفة والنظامية سنة ٤٥٩ هـ الى آخر القرن الثامن الهجرى .

ورأيت أن أختم هـذه الفصول بفصل عن المستوى العلمى فى هـذه المدارس ، وعن نسبة الاساتذة الى المدرسين فى اول جامعة اسلامية ببغداد . وقد توصلت فيه الى ان هذه النسبة تساوى استاذا واحدا لكل عشرة طلاب وهى نسـبة تكاد تكون رقمـا قياسيا بالنسبة للدراسـات الجامعية فى الوقت الحاضر .

ومن الله التوفيق

---

(١) العدد التاسع شباط ١٩٦٦م .

ناجى معروف

الفصل الاول

بداية انشاء المدارس فى منتصف القرن الرابع الهجرى

لقد حفلت البلاد الاسلامية منذ اواسط القرن الرابع الهجرى بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها ، المستقلة عن الجوامع، فقد ذكر ابن جبير مدارس بغداد عند زيارته لها فى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) فقال : « والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهى كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهى يقصر القصر البديع عنها ... ولهذه المدارس اوقاف عظيمة ، وعقارات محبسة ، تتصير الى الفقهاء والمدرسين فيها . ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم . ولهذه البلاد فى أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد(١) ... » .

وقال قطب الدين الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٩٨٨ هـ يصف مدارس بغداد ايضا : « وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل فى ارتفاع العماد ، واتقان المهاد ، وطيب الماء ، ولطف الهواء ، ورفاهية الطلاب ، وسعة الطعام والشراب ، وغير ذلك من الاسباب(٢) » .

وكانت هذه المدارس فى ازدياد مستمر منذ ذلك الحين حتى سقوط بغداد بيد المغول فى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) فقد كانت مدارسها يومئذ ثمانى وثلاثين مدرسة بين مدرسة انشئت لمذهب واحد او مشتركة بين مذهبين أو لاربعة مذاهب و١٨ دارا للحديث(٣) .

---

(١) الرحلة ص ٢٠٥

(٢) الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٥٧ .

(٣) الدر المكنون لياسين العمرى .

وكان فى البلاد الاسلامية علاوة على المدارس المستقله عدد لا يحصى من دور القرآن ، ودور الحديث ، وحلقات المساجد ، وأماكن الدراسة الاخرى كالمكاتب وهى الكتاتيب ، والدور والقصور ، والرُبُط والزوايا ، والبيمارستانات ، ومجالس المناظرة ، ومجالس الوعظ ، ومجالس الاملاء ، والتحديث فى الدكاكين والاسواق ، والندوات الادبية ، ودور العلم وهى خزائن الكتب التى نطلق عليها اليوم اسم « المكتبات » ... الخ .

ويظهر ان شمس الدين بن خلكان المتوفى فى سنة ٦٨١هـ ومن بعده شمس الدين الذهبى المتوفى فى سنة ٧٤٨هـ كانا يريان ان الوزير السلجوقى نظام الملك اول من احدث المدارس فى الاسلام ، وشايعهما على ذلك كثير من المؤرخين . قال ابن خلكان : « وهو اول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس . وشرع فى عمارة مدرسة ببغداد سنة سبع وخمسين واربعمئة »(١) وقال الذهبى مثل ذلك . ولكن السُبْكى الشافعى رد على الشيخ الذهبى بقوله فى ترجمة نظام الملك : « وشيخنا الذهبى زعم انه اول من بنى المدارس ، وليس كذلك . فقد كانت المدرسة « البيهقية » بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور ايضا بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها ابو سعيد اسماعيل بن على بن المثنى الاسترابادى الواعظ الصوفى شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابى اسحق الاسفراييني » .

أما المقريزى(٢) فيقول : « وانما حدث عملها بعد الاربعمئة من سنى الهجرة . واول من حفظ عنه انه بنى مدرسة فى الاسلام اهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها ايضا الامير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها اخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها ايضا المدرسة السعيدية ، وبنى بها ايضا مدرسة رابعة »(٣) .

« واشهر ما بنى فى القديم المدرسة النظامية ببغداد لانها اول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ... وشرع فى بنائها فى سنة سبع وخمسين واربعمئة

---

(١) وفيات الاعيان .

(٢) الخطط ج ٤ ص ١٩٢ . مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٦هـ .

(٣) يقتضى النص أن تكون مدرسة خامسة ، ويظهر ان النص الذى ذكره السبكى فى ترتيب هذه المدارس أصح من النص المذكور فى المقريزى .

وفرغت في ذى القعدة سنة تسع وخمسين واربعمئة .. فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وفي بلاد الجزيرة، وديار بكر ... »

« واما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ، ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة . واول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ، ووزارة يعقوب بن كلس فعمل بذلك بالجامع الازهر .. ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلّس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم . وعمل ايضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير . ثم بنى الحاكم بأمر الله ... دار العلم بالقاهرة .. فلما انقضت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين ... واقام بها مذهب الامام الشافعي ، ومذهب الامام مالك ، واقتدى بالملك العادل نورالدين محمود بن زنكي فانه بنى بدمشق وحلب واعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية ، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر » .

« واول مدرسة احدثت بديار مصر : المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ، ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع ايضا .. ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين – في بناء المدارس بالقاهرة ، ومصر وغيرهما من اعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة – اولاده وامراؤه(١) » .

ان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة في خارج المسجد كانت من الامور التي تراود اذهان الخلفاء العباسيين ببغداد في زمن مبكر من تاريخ دولتهم فاوجدوا من اجل ذلك : دور العلم ، وبيوت الحكمة لترجمة علوم الاقدمين، يدل على ذلك ما ذكره المقريزى في خططه عن المعتضد بالله الذى ولى الخلافة في اواخر القرن الثالث الهجرى من سنة ٢٧٩هـ – الى سنة ٢٨٩هـ لما أراد

---

(١) الخطط ج ٤ ص ١٩٢–١٩٣ . وقد انشأ صلاح الدين الايوبى هذه المدرسة بالقاهرة في أواخر أيام الفاطميين . « وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة » كما يقول المقريزى ج ٤ ص ١٩٣ . ويظهر مما ذكره ابن خلكان في ترجمة على بن السلار ، وما ذكره السيوطى وابن تغرى بردى عن ابن عوف الزهرى ان أول مدرسة بمصر كانت « العوفية » التى بنيت بالاسكندرية سنة ٥٣٢هـ والثانية هى السِّلَفية أو « الحافظية » وقد بنيت بالاسكندرية ايضا سنة ٥٤٤ هـ . « راجع كتابنا : المدارس الشرابية ص ١١٣ » .

بناء قصره فى الشماسية ببغداد فقد ذكر انه « استزاد فى الذرع بعد ان فرغ من تقدير ما اراد فسئل عن ذلك فذكر انه يريده ليبنى فيه دورا ، ومساكن ومقاصير ، يرتب فى موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجرى عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه(١) » . مما يدل على ان الخليفة المعتضد قرر اجراء الارزاق السنية لمن ذكرهم من أهل العلوم النظرية والعملية . وهذا يشير بوضوح الى ما كان يقدر لطلاب العلم من ارزاق ونفقات .

وتؤيد النصوص التاريخية الاخرى ان المدارس فى الاسلام انشئت ، وخصصت الجرايات لاربابها فى زمن مبكر يسبق تأسيس المدرسة النظامية ببغداد بأكثر من قرن من الزمن . من ذلك ما قاله ياقوت الحموى عن مدرسة ابن « حِبان » البُسْتى(٢) التميمى وهو ابو حاتم الفقيه المتوفى فى سنة ٣٥٤هـ حيث قال عنه : « وقد كان ابو حاتم سبَّل كتبه واوقفها وجمعها فى دار رسمها » وقال الحافظ ابو عبدالله الحاكم « ابو حاتم بن حِبان داره التى هى اليوم مدرسة لاصحابه ، ومسكن للغرباء الذين يقيمونَ بها من أهل الحديث والمتفقهة ، ولها جرايات يستنفقونها دارّة ، وفيها خزانة كتبه فى يدى وصى سلمها اليه ليبذلها لمن يريد نسخ شىء منها فى الصُفَّة من غير أن يخرجها منها ... » .

وجاء فى وفيات الاعيان(٣) ان ابا بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصفهانى المتوفى سنة ٤٠٦هـ أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه الى الرى فسمعت به المبتدعة فراسله اهل نيسابور فبنى له بها مدرسة ودار . واحيا الله به انواعا من العلوم . كما يستدل مما ذكره ابن خلكان(٤) فى ترجمة امام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ ان المدرسة البيهقية والنظامية بنيسابور كانت فيهما مساكن للطلبة ، وان تلامذة امام الحرمين كانوا قريبا من اربعمئة .

---

(١) الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

(٢) نسبة الى بست بين سجستان وغزنة وهراة . راجع معجم البلدان ج ١ ص ٤١٤-٤١٩ .

(٣) راجع ابن خلكان فى ترجمة ابى بكر محمد بن الحسن بن فورك ج٣ص٤٠٢ والوافى بالوفيات ج ٢ ص ٣٤٤ . وجاء فى معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٨ : ابو محمد يحيى بن احمد بن الحسن بن فورك الايذجى من ولد المهدى بن المنصور العباسى ولعله ابن اخى ابى بكر محمد بن الحسن بن فورك المذكور ، وبذلك يكون ابو بكر بن فورك عباسيا من اولاد المهدى .

(٤) راجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٤١-٣٤٣ .

وفى دمشق انشئت المدرسة الصادرية فى سنة ٣٩١ هـ اسسها الامير شجاع الدولة صادر بن عبدالله للحنفية . كما اسس رشأ بن نظيف مقرىء دمشق « دار القرآن الرشائية » فى حدود الاربعمئة من سنى الهجرة(١) .

وقد انتشرت مدارس الفقه فى العالم الاسلامى انتشارا كبيرا يدل على ذلك :

١ ـ المدارس التى ذكرها المؤرخون العراقيون فى مؤلفاتهم عن مدارس بغداد والبصرة وواسط والموصل والحلة وغيرها . كابن الاثير ، وابن الساعى ، وابن النجار ، وابن الفوطى .

٢ ـ ما ذكره المقريزى عنها فى كتابه الخطط .

٣ ـ ما جاء فى ذلك الثبت الطويل الذى دونه عبدالقادر النعيمى فى كتابه « الدارس فى اخبار المدارس » عن المدارس الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية .

٤ ـ ما جاء فى المصادر المختلفة عن مدارس بلاد المغرب وشمال افريقية ، ومدارس اليمن والحجاز ، ومدارس البلاد الاسلامية فى آسية واوربة .

وحسبنا ان ننوه بما كان فى دلهى وحدها من مدارس اسلامية بلغت فيما نقله المقريزى(٢) الف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة للشافعية على الرغم من المبالغة التى يحسها الباحث فى مثل هذه الرواية .

وتختلف مدارس الفقه من حيث مساحاتها التى شيدت فوقها غير ان تخطيطها يكاد يكون متشابها اذ ان المدرسة كانت بوجه عام تحتوى على :

١ ـ ساحة او رحبة او فناء واسع يعرف بالصحن ، تحيط بهحجرات فى الطابق الاسفل ، وغرفات فى الطابق الاعلى . وربما كانت بعض المدارس معلقة أى فى الطابق الاعلى فقط .

٢ ـ وكان لاغلب المدارس اروقة امام الحجرات والغرفات . وقد تكون هذه الاروقة مزخرفة ومقرنصة بمختلف المقرنصات .

٣ ـ ان مخططات المداخل والاواوين فى المدارس تتشابه الى حد كبير كما يلاحظ ذلك فى أبواب المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد ومدرسة

---

(١) راجع مقدمة الدكتور صلاح‌الدين المنجد لكتاب « دور القرآن فى دمشق » للنعيمى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ

(٢) الخطط ج ٢ ص ١٧٤ .

السلطان حسن بالقاهرة ٠٠٠ الخ ٠ وهى تتشابه ايضا فى الحجوم والزخرفة ، وفى الآزاج أى الدهاليز ٠ وفى الاروقة ، والقاعات ، وبيوت الطلبة ٠٠٠ الخ ٠

٤ ــ وفى اغلب المدارس ايوان واحد ، أو ايوانان متقابلان ، او اربعة اواوين ٠ على ان عدد الاواوين فى المدرسة الواحدة لا علاقة له بوجه عام بعدد المذاهب التى تدرس فيها ٠ كما ان المدرسة ذات المذاهب الاربعة قد تكون ذات ايوانين كالمدرسة المستنصرية ببغداد ومدرسة الملك المنصور بمكة ٠ وقد لا يكون فيها الا ايوان واحد كالمدرسة المنصورية بمصر ٠ وقد تكون الاواوين الاربعة فى زاوية من الزوايا كزاوية زين الدين يوسف بن عُدى التى اقيمت فى عهد الملك المنصور « لاجين » فى سنة ٦٩٧هـ وهى موجودة بالقاهرة حتى اليوم ٠ ولذلك فان وجود الايوان الواحد أو الايوانين او الاواوين المتعددة فى المدرسة الواحدة انما يدل على طراز معمارى او اسلوب فنى فى العمارة العربية والاسلامية يتجلى فيه الابتكار والتنوع وتفنن المهندس المسلم فى تجميل المدارس والقصور وتزيينها ٠

واليك جانبا من المدارس الاسلامية نذكرها بحسب مذاهبها على أن نعود الى بحث المدارس العراقية ، منها فى بحث آخر ٠

الفصل الثانى

المدارس الاحادية التى تدرس مذهبا فقهيا واحدا

أ ــ المدارس الحنفية ومنها ببغداد : (١) مدرسة ابى حنيفة بباب الطاق (٢) المدرسة التتشية (٣) المدرسة المغيثية (٤) المدرسة الغياثية (٥) المدرسة الموفقية (٦) مدرسة زيرك بسوق العميد (٧) مدرسة ابن قاضى دقوقا (٨) مدرسة تركان خاتون (٩) مدرسة السلطان ملكشاه (١٠) ومن المدارس الحنفية بالقاهرة : المدرسة الصالحية بين القصرين (١١) وبحلب المدرسة الجاولية ٠ ونجد فى كتاب الدارس للنعيمى المتوفى سنة ٩٢٧هـ ثبتا طويلا للمدارس الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية بدمشق ٠

ب ــ المدارس الشافعية : ومنها ببغداد : (١) النظامية (٢) مدرسة زُمُرُّد خاتون (٣) الثقتية (٤) التاجية (٥) الكمالية (٦) الفخرية او دار الذهب (٧) المدرسة الاسبابذية او الاسبهبذية (٨) المدرسة البهائية

قرب النظامية (٩) المدرسة النجيبية (١٠) مدرسة الشاشى (١١) المدرسة الشرابية (١٢) وبالموصل مدرسة قيماز (١٣) وفى اربل العقيلية (١٤) وبمصر الناصرية ... (١٥) وبحلب العصرونية (١٦) والشرابية بواسط . وبمكة : (١٧) الشرابية و(١٨) المظفرية و(١٩) المدرسة الافضلية و(٢٠) مدرسة الثلاج .

وتجد فى الجزء الرابع من خطط المقريزى عددا كبيرا من المدارس الشافعية بمصر . وكان السلطان صلاح الدين الايوبى فيما ذكر المقريزى اقام بمصر مذهب الامام الشافعى ومذهب الامام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى الذى بنى بدمشق وحلب واعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية . وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر . وذكر ابن واصل ان صلاح الدين بنى سنة ٥٦٦ هـ بمصر مدرسة للشافعية ، ولم يكن بمصر للشافعية ولا لغيرهم مدرسة لان الدولة كانت اسماعيلية ولم يكن لهم ميل الى شىء من هذه المذاهب . كما بنى دار الغزل مدرسة للمالكية . وذكر ابن خلكان انه ادخل المدارس فى بيت المقدس ايضا . وكانت دمشق تزخر فى عهده بالمدارس . كما انه ادخل اول مدرسة فى الحجاز .

ج ـ المدارس الحنبلية وقد انشىء منها ببغداد : (١) مدرسة عبدالقادر الجيلى أو مدرسة ابن المخرمى (٢) المدرسة المجاهدية (٣) مدرسة بنفشة او المدرسة الشاطئية بباب الازج (٤) مدرسة ابن بكروس او مدرسة الحرانى (٥) مدرسة ابن دينار (٦) مدرسة ابن الابرادى (٧) مدرسة ابن الجوزى (٨) مدرسة ابى شجاع البيّع (٩) مدرسة ابن هبيرة (١٠) مدرسة ابن الشمحل (١١) ومنها مدرسة باتكين بالبصرة . ومنها بدمشق : (١٢) العمرية و(١٣) الشريفية و(١٤) المسمارية و(١٥) الجوزية .

د ـ المدارس المالكية : ولم نعثر ببغداد على مدرسة للمالكية على الرغم من انتشار مذهب الامام مالك الاصبحى فى العراق فقد دفع الخليفة الناصر سنة ٦١٧ هـ باجازة المالكية الى على بن جابر المغربى . ولما فتحت المستنصرية سنة ٦٣١هـ كان نائب المدرس المالكى فيها مغربيا . وفى سنة ٦٣٣هـ وصل عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر المغربى الاصل الشارمساحى المولد الاسكندرانى الدار الى بغداد ومعه اهله وولده وجماعة من الفقهاء

المالكية • ومنذ ذلك التاريخ اصبح المذهب المالكى يدرس فى المدارس التى بنيت على صفة المستنصرية والتى جعلت للمذاهب الاربعة • على أن المدارس التى انشئت فى شمال افريقية كانت كلها على مذهب الامام مالك• ومن المدارس المالكية بدمشق : (١) الصدرية (٢) الشرابيشية • وبمصر (٣) دار الغزل و(٤) الصاحبية (٥) وبمكة : مدرسة ابن الحداد المهدوى •

الفصل الثالث

المدارس الثنائية وهى المشتركة بين مذهبين فقهيين

أ ـ بين الحنفية والشافعية ومنها ببغداد : (١) مدرسة الامير سعادة (٢) والمدرسة المرجانية • وبدمشق (٣) الاسدية (٤) والعذراوية (٥) والجركسية (٦) والظاهرية • وبمصر : (٧) مدرسة ام السلطان الملك الاشرف (٨) والاقبغاوية (٩) والفارقانية (١٠) واليوسفية • وبالموصل : (١١) العزية[١] وبحلب : (١٢) المدرسة الظاهرية •

ب ـ بين الحنفية والمالكية كالمدرسة التى بناها الامير سيف الدين منكوتمر بالقاهرة سنة ٦٩٨هـ[٢] •

ج ـ بين الشافعية والمالكية[٣] كالمدرسة الحجازية[٤] سنة ٨٦١هـ والمسلمية[٥] سنة ٧٧٦هـ والمدرسة الفاضلية[٦] بالقاهرة سنة ٥٨٠هـ ، والمدرسة التى انشأها بالجُبَّيل شمس الدين ابو بكر العجمى[٧] سنة ٥٩٥هـ •

د ـ بين الشافعية والحنابلة كالمدرسة الشهابية[٨] التى بنيت بالمدينة •

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٤ : ١٥٣ ، ٣٨٨ وهى المدرسة التى انشأها الامير عزالدين ابو المظفر زلف انداز ابن الامير مسعود الموصلى وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية وهى غير العزية التى بمراغة وغير العزية التى بقوص •

(٢) المقريزى ج ٤ ص ٢٣٠ •

(٣) المقريزى ج ٤ ص ١٩٧ ، ٢٢٣ •

(٤) المقريزى ج ٤ ص ٢٢٢ •

(٥) المقريزى ج ٤ ص ٢٥١ •

(٦) المقريزى ج ٤ ص ١٩٧ •

(٧) الاعلاق الخطيرة ج ١ ص ١٠٩ •

(٨) ابن الفوطى ج ٥ ص ١١٥ الترجمة ٢١٣ •

هـ - بين الحنابلة والمالكية كالمدرسة السيفية بحلب(1) ٠

ولم نعثر على مدارس مشتركة بين الحنابلة وبين أى مذهب آخر سوى المدرستين الشهابية والسيفية ٠

وهناك مدارس مشتركة بين الفقه والحديث فقد ذكر اليونينى(2) ان المدرسة التى بناها الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى بالقاهرة سنة ٦٧٦هـ كانت على مذهب ابى حنيفة ، وعلى شيخ يسمع الحديث ٠ والمدرسة الظاهرية بدمشق كانت للشافعية والحنفية وكانت فيها دار للحديث(3) ٠

الفصل الرابع

المدارس الثلاثية وهى المشتركة بين ثلاثة مذاهب فقهية

لم نعثر الا على مدرسة واحدة بنيت لدراسة الفقه على ثلاثة مذاهب فقد ذكر النعيمى نقلا عن الحافظ ابن حجى ان المدرسة الفخرية بدمشق تكاملت عمارتها فى شهر رمضان من سنة ٨٢١ هـ ٠ وقررت فيها مشيخة للصوفية ، ودرس للحنفية ، ودرس للمالكية ، ودرس للحنابلة(4) ٠

كما اننا وجدنا ان ابن جبير الكنانى(5) يشير الى وجود زاوية للمالكية ، ومدرسة للشافعية ومقصورة للحنفية ، فى الجامع الاموى بدمشق اتخذت للتدريس والصلاة ٠

وفى الوقت نفسه عثرنا على ما يدل على وجود ثلاثة محاريب فى هذا الجامع لثلاثة أئمة قد تتخذ حلقات للتدريس فقد ذكر ابن كثير فى حوادث سنة ٧٢٨ هـ قال : (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرين من رجب رسم للائمة الثلاثة : الحنفى والمالكى والحنبلى بالصلاة فى الحائط القبلى من الجامع الاموى(6) ٠ ولا شك فى ان هذا يختلف كثيرا عن المدارس المشتركة المستقلة عن الجامع والتى كانت احادية المذهب او ثنائية او ثلاثية او رباعية٠ بل تختلف حتى عن حلقات المساجد التى كان يدرس فيها الفقه على المذاهب الاربعة ، اضافة الى التفسير والحديث والقرآت والطب والميقات(7) ٠٠٠

---

(1) الاعلاق الخطيرة ج ١ ق ١ ص ١٢١ وهذه المدرسة انشأها الامير سيف الدين على بن علم الدين سليمان بن جندر بحلب تحت القلعة لتدريس الحنابلة والمالكية ٠

(2) ج ٣ ص ٢٣٥ وجاء فى المقريزى انها انشئت للحنفية والشافعية ٠

(3) اليونينى ج ٣ ص ٢٤٦-٢٤٧ ٠

(4) الدارس ج ١ ص ٤٣٠

(5) الرحلة ص ٢٦٦-٢٧٣

(6) النعيمى ص ٦٠٥ والبداية والنهاية ج ١٤

(7) حسن المحاضرة ٢ : ١٣٨

الفصل الخامس

دور القرآن

كان المسلمون الاولون يتدارسون القرآن فى المساجد ، وفى دور خاصة منذ عهد الرسول (ص) فقد ذكر الواقدى « ان عبدالله بن ام مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضى الله عنهما ، وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء(١) » ٠

ويظهر ان هذه الدراسة استمرت فى المساجد التى اسست فى البلاد التى فتحها العرب ، ومصروا فيها الامصار حتى انشئت دور خاصة بالقرآن فى حدود سنة اربعمئة للهجرة فيما ذكر الصفدى والذهبى(٢) كدار القرآن الرشائية التى انشأها بدمشق المقرىء رشأ بن نظيف الدمشقى ، وكان قد قرأ بالروايات بمصر والعراق(٣) ٠

وظلت دور القرآن تخط مستقلة لوحدها ، منفصلة عن الجوامع أو فى داخل المساجد(٤) الى أن انشئت المدرسة المستنصرية فصارت بالاضافة الى ذلك تلحق بالمدارس بوجه عام(٥) ٠

وفى الوقت نفسه يلاحظ ان كثيرا من دور القرآن ظلت مستقلة قائمة بذاتها حتى بعد هذا التاريخ كدار القرآن التى بباب الازج بالجانب الشرقى من بغداد ٠ ودار القرآن الجوزية بالحربية بالجانب الغربى من بغداد ٠ ودار القرآن البشيرية(٦) على شاطىء دجلة بالجانب الغربى من بغداد ودار القرآن الواسطية ، ودار القرآن النيارية التى انشأها صدرالدين النيار(٧) ، ودار القرآن الدنبليـــة التى انشأهـــا بهاء الدين الدنبلى بدار الخلافة ببغداد(٨)

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ١٩٢ ٠

(٢) طبقات القراء الورقة : ١١٥ والنعيمى ج ١ ص ١١ وتاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٩ ٠

(٣) الدارس ج ١ ص ١١ ٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤ ٠

(٥) النعيمى ج ١ ص ٧ـ١٧ وتاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٩ ٠

(٦) الحوادث الجامعة ص ٢٧٥ ٠

(٧) ابن الفوطى ج ٤ ص ٤٩٧ـ٤٩٨ ٠

(٨) التلخيص ٤ : ٨٩ ، ٩٠ ، الوافى ج ١٢ الورقة ١٠٠ ٠ تاريخ علماء المستنصرية ، ج٢ ص ٢٢٩ ٠

ودار القرآن بدرب القرنفلتين(١) • ودار القرآن الجمالية التى انشأها جمال الدين ابن العاقولى(٢) • ودور القرآن المختلفة التى انشئت بالبلاد الاسلامية الاخرى •

الفصل السادس

دور الحديث

ويطلق عليها ايضا دور السنة النبوية او المحمدية لان سنة الرسول وهى الحديث النبوى واعمال الرسول (ص) وتقريراته كانت تدرس فيها•

ويظهر ان دور الحديث كانت مستقلة كدور القرآن أو مشتركة بين القرآن والحديث او ملحقة بالمدارس •

وتعد دور الحديث من مبتكرات الشهيد نورالدين زنكى فقد ذكر ابن الاثير أنه « اول من بنى دارا للحديث » • وذكر المقريزى(٣) ان اول من بنى دارا للحديث على وجه الارض الملك العادل نورالدين محمود بن زنكى بدمشق• وذكر ابن واصل ان نورالدين « بنى بدمشق دارا للحديث واوقف عليها وقوفا كثيرة ، وهو اول من بنى دارا للحديث فيما سمعناه(٤) » وانشأ بعده الملك الكامل ناصرالدين محمد بن الملك العادل ابى بكر بن شادى بن مروان بالقاهرة فى سنة ٦٢٢هـ « المدرسة الكاملية » وهى كما يقول المقريزى(٥) : « ثانى دار عملت للحديث » •

ويظهر ان دور الحديث كانت تشترك احيانا مع دور القرآن فتبنى دور مشتركة للقرآن والحديث معا(٦) وتكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل فى المساجد كما فى مسجد قمرية بالجانب الغربى من بغداد(٧) •

وقد ظلت دور الحديث على هذا النحو الى ان انشئت المستنصرية حيث

---

(١) التلخيص ج ٤ ص ١٩٠١ •

(٢) تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٢٠ •

(٣) المقريزى ج ٤ ص ٢١١ • والنعيمى ج ١ ص ٩٩ • والسلوك ج ١ ص ٢٥٨ـ٩ و Sauvaget M.H.D. رقم ٢٠ •

(٤) مفرج الكروب ج ١٠ ص ٢٨٤ •

(٥) ج ٤ ص ٢١١ ويظهر انها زالت بعد سنة ٨٠٦هـ •

(٦) النعيمى ج ١ ص ١٢٣ـ١٢٨ •

(٧) الحوادث الجامعة ص ٤ •

صارت دور الحديث على الاغلب تلحق بمدارس الفقه الى جانب مدارس الطب ، ودور القرآن ، اسوة بالمستنصرية ٠

وينبغى ان يلاحظ فى الوقت ذاته ان كثيرا من دور الحديث ظلت تؤسس مستقلة حتى بعد هذا التاريخ ، كدار حديث منبج ، ودار السنة النورية بالموصل ، ودار الحديث المهاجرية بسكة ابن نجيح بالموصل ايضا(١) ٠

واستمرت دور القرآن ودور الحديث المشتركة تقوم بمهمتها العلمية كما كان الحال فى مسجد قمرية ٠على اننا نجد بعض المؤسسات الدينية التى انشئت لتجمع بين دراسة القرآن والحديث والفقه كدار الحديث السهلية بحلب فقد كانت مسجدا ، ودارا للقرآن ، والحديث النبوى ، ومدرسة للعلم على مذهب ابى حنيفة ٠

الفصل السابع

مدارس الطب

لقد درس الطب فى المساجد فقد ذكر عبداللطيف البغدادى ان درسا فى الطب كان يلقى فى الازهر فى منتصف النهار من كل يوم(٢) كما درس فى مدارس الطب المستقلة كالدخوارية التى انشأها بدمشق مهذب الدين الملقب بالدخوار سنة ٥٦٥ هـ ومدرسة الطب التى انشأها ابو المظفر باتكين بالبصرة سنة ٦٢٩هـ واللبودية بدمشق سنة ٦٦٤هـ والربيعية بدمشق ايضا سنة ٦٨٦هـ ومن هذا القبيل البيمارستانات فقد كانت كثيرة فى البلاد الاسلامية ومن اشهرها البيمارستان العضدى ببغداد وبيمارستان المستنصر بمكة ٠٠٠ الخ ٠

وقد ظل الطب يدرس فى المساجد او البيمارستانات والمدارس الطبية المستقلة الى ان اسس المستنصر المدرسة المستنصرية فجعل لدراسة الطب صُفّة خاصة للطبيب وطلابه تقع قبالة باب المدرسة عرفت بمارستان المستنصرية مما لم نجد لذلك مثيلا فى المدارس الاخرى التى عاصرتها أو التى بنيت قبلها ٠

---

(١) التلخيص ج ٤ ص ١٩٣ ٠
(٢) راجع ابن ابى اصيبعة ج ٢ ص ٢٧٠ ٠

الفصل الثامن

المدارس الرباعية(١)

وهى المدارس التى بنيت على المذاهب الاربعة

لقد عثرنا فى العراق ومصر والشام والحجاز على سبع عشرة مدرسة يمكن عدها جامعات لتدريسها المذاهب الفقهية الاربعة ولاحتوائها على اقسام علمية متعددة واليك نبذة موجزة عنها ٠

١ ـ المستنصرية : شرع فى انشائها فى سنة ٦٢٥ هـ وفتحت فى شهر رجب سنة ٦٣١ هـ

لقد كان المستنصر بالله اول من انشأ فى العالم الاسلامى مدرسة لتدريس الفقه على المذاهب الاربعة ولتدريس التفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والطب ، والعربية ، والرياضيات ٠٠٠ الخ فى بناية واحدة٠ وقد شرع الناس فى تقليده والائتمام به ٠ والمدرسة التى انشأها ببغداد هى المدرسة المستنصرية التى عددناها اول جامعة علمية كبرى فى العالم الاسلامى بل فى العالم اجمع بحسب مفهوم كلمة « الجامعة » اليوم ٠ وقد بنيت على غرارها وصفتها مدارس عديدة فى البلاد العربية ٠

٢ ـ المدرسة الصالحية بمصر سنة ٦٤١ هـ

٣ ـ المدرسة البشرية بالجانب الغربى من بغداد شرع فى انشائها فى سنة ٦٤٩ هـ وفتحت فى ١٣ جمادى الاخرة سنة ٦٥٣ هـ ٠

٤ ـ المدرسة الظاهرية بمصر ٠ انشئت بمصر فى اول سنة ٦٦٢هـ

٥ ـ المدرسة العصمتية ببغداد تم بناؤها سنة ٦٧١ هـ

٦ ـ المارستان الكبير بمصر شرع ببنائه فى سنة ٦٨٣ هـ ٠

٧ ـ المدرسة المنصورية بمصر سنة ٦٨٤ هـ ٠

٨ ـ القبة المنصورية بمصر فى اواخر القرن السابع الهجرى ٠

٩ ـ المدرسة الناصرية بمصر شرع ببنائها سنة ٦٩٥ هـ وتمت فى سنة ٧٠٣ هـ ٠

١٠ ـ المدرسة الصلاحية بحلب وقفت فى سنة ٧٣٧ هـ ٠

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج١ ص ٣٧ـ٤١

١١ ـ مدرسة السلطان حسن بمصر . شرع فى انشائها سنة ٧٥٧هـ وتمت فى سنة ٧٦٤ هـ .

١٢ ـ المدرسة البرقوقية بمصر تمت عمارتها سنة ٧٨٨ هـ .

١٣ ـ المدرسة المسعودية ببغداد فى اواخر القرن الثامن الهجرى سنة ٧٨٥ هـ .

١٤ ـ المدرسة الجمالية بمصر وتعرف بالناصرية ايضا . انتهت عمارتها سنة ٨١١ هـ .

١٥ ـ مدرسة الملك المنصور بمكة شرع ببنائها فى شهر رمضان سنة ٨١٣ هـ وفرغ من بنائها فى آخر صفر سنة ٨١٤ هـ .

١٦ ـ مدرسة السلطان قايتباى(١) بمكة شرع ببنائها سنة ٨٨٢هـ وتمت فى سنة ٨٨٤ هـ وكانت تحتوى على (٧٢) خلوة ومدرسة بنيت بالرخام الملون وعلى اربعة مدرسين على المذاهب الاربعة و٤٠ طالبا ، وخزانة كتب و٤٠ صبيا من الايتام . ووقف عليها عدة ربوع ودور كما وقف عليها بمصر قرى وضياعا كثيرة .

١٧ ـ المدارس الاربع(٢) التى بناها السلطان سليمان القانونى بمكة للمذاهب الاربعة فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام ويظهر انها كانت مدرسة واحدة تدرس فيها المذاهب الاربعة .

ومما لا شك فيه ان جمع المذاهب الفقهية الاربعة فى بناية واحدة كالمدارس التى نوهنا بها يدل دلالة واضحة على مدى حرية الفكر والبحث ، وتسامح العلماء فى تلك العصور . كما يدل على ان الذين انشأوها من الخلفاء والسلاطين والامراء والاميرات والعلماء كانوا فوق النزعات الطائفية والمذهبية المختلفة ولم يكن عندهم تعصب لمذهب من المذاهب .

ويظهر ان فكرة جمع المذاهب الاربعة فى مدرسة جامعة اخذت تظهر فى مجالات اخرى كالشعر والمصنفات منها على سبيل المثال : ان الحسين بن يوسف الدجيلى البغدادى المتوفى سنة ٧٣٢ هـ نظم « الكافية » فى الفرائض على المذاهب الاربعة بقصيدة عدد ابياتها ٢٤٣ بيتا .

ومنها ان شافعا بن عمر الجيلى معيد الحنابلة بالمستنصرية المتوفى سنة ٧٤١ هـ صنف كتابا فى مناقب ارباب المذاهب الاربعة سماها « زبدة الاخبار فى مناقب الائمة الاربعة الاخيار » .. الخ .

---

(١) تاريخ القطبى ص ١٨٦ ، ١٩٧ـ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٤٢ .

(٢) تاريخ القطبى ص ١٨١ ، ٢٩٣ـ٢٩٦ .

الفصل التاسع

المدارس المستقلة ببغداد

لقد جرت العـادة أن تنسب المدارس الى منشئيها فتقول : المدرسة النظامية نسبة الى الوزير السلجوقى نظام الملك ، والمدرسة المستنصرية نسبة الى الخليفة العباسى المستنصر بالله ، أو الى الموضع الذى اقيمت فيه كمدرسة درب القيار ، ومدرسة سوق العميد ، ومدرسة بين الدربين • أو تنسب الى العالم الذى تنشأ له كمدرسة الجيلى أو القادرية ، أو الى مدرس مشهور فيها •كمدرسة ابن الخل •

ويلاحظ فى مدارس بغداد :

١ ــ إن كثيرا منها كان يبنى على ضفة دجلة أو على مقربة منها •

٢ ــ ان عددا كبيرا منهـا تم انشـاؤه على ايدى النسـاء من أزواج الخلفاء والملوك والامراء أو بناتهم •

٣ ــ كما يلاحظ بوجه عـام ان المدرسين كانوا يعينون فى المدارس الاسـلامية بتوقيعات يصدرهـا الخلفـاء أو الامراء أو السـلاطين • وتدل التوقيعات التدريسية على مبلغ ما وصلت اليه الحضارة العربية يومئذ(١) •

والى الباحث ثبتا بأسماء مدارس بغـداد فى العصر العباسى والفترة التى تلته من حكم المغول حتى أواخر القرن الثامن الهجرى •

اولا ـ فى العصر العباسى من سنة ٤٥٩هـ حتى سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)

١ ــ « مدرسة ابى حنيفة » أو « المدرسة الشرفية » ببـاب الطاق • وقد يطلق عليها « مدرسة الحنفيين » بباب الطاق • انشأها للحنفية شرف الملك أبو سعد العميد الخوارزمي مستوفى المملكة للسـلطان ألب أرسلان السلجوقى عند مشهد أبى حنيفة ، وافتتحت سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦م) ولا يزال التدريس جاريـا فيهـا منـذ تسـعة قرون خلت ، وهى لذلك أطول المدارس البغدادية عمرا •

٢ ــ « المدرسة النظامية » : انشأها للشافعية نظام الملك على جزء من دار مؤنس المقتدرى التى كانت على دجلة وموقعهـا بين أسفل المستنصرية وأعلى دار الخلافة وقد تم افتتاحها سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦م) ايضا •

---

(١) راجع التوقيعات التدريسية ص ٣١ـ٣٦ •

٣ ـ « مدرسة تركان خاتون » زوجة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وقد شيدتها للحنفية بالجانب الشرقي من بغداد ٠

٤ ـ « المدرسة التاجية » : نسبة الى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو مستوفي السلطان ملكشاه السلجوقي وقد بناها للشافعية بباب أبرز ببغداد الشرقية سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩م) ٠

٥ ـ « المدرسة الفخرية » أو « دار الذهب » أو « مدرسة فخر الدولة » بعقد المصطنع في المأمونية بالجانب الشرقي بناها للشافعية الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن علي بن المطلب الكرماني المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢م) ٠

٦ ـ « مدرسة درب القيار » أو « مدرسة الحراني » وتعرف بـ « مدرسة ابن بكروس » الحمامي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٣هـ (١١٧٧م) بناها للحنابلة بجوار منزله بدرب القيار ببغداد الشرقية ٠

٧ ـ « مدرسة زمرد خاتون » أم الخليفة الناصر لدين الله ، ولذلك تسمى « مدرسة أم الخليفة » وقد سميت بـ « المدرسة الغربية » كما عرفت ايضا بـ « مدرسة الاصحاب » أي أصحاب الشافعي ٠ وقد تم افتتاحها سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) ٠

٨ ـ « المدرسة الثقتية » أو « مدرسة ثقة الدولة » : نسبة الى أبي **الحسن الانباري الدُرَيني الملقب ثقة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩ هـ** (١١٥٤م) وقد بناها لاصحاب الشافعي على دجلة تحت دار الخلافة بباب الازج من الجانب الشرقي ٠

٩ ـ « مدرسة بنفشة » وتسمى « المدرسة الشاطئية » : بنتها للحنابلة السيدة بنفشة زوجة الخليفة المستضيىء ، بباب الازج من الجانب الشرقي من بغداد سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤م) ٠

١٠ ـ « المدرسة الموفقية » وهي مدرسة للحنفية انشأتها بنت السلطان ملكشاه السلجوقي وهي زوجة الخليفة المستظهر بالله ببغداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهر دجلة ٠ ولعلها هي مدرسة الخاتون المستظهرية التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية ٠ وقد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبدالله الخاتوني الذي دفن بالمدرسة ٠

١١ ـ « **مدرسة زَيْرَك** » **أو** « **مدرسة سوق العميد** » **وهي مدرسة** للحنفية بالجانب الشرقى • ويرجح ان موقعها على مقربة من جامع المرادية اليوم •

١٢ ـ « مدرسة ابن دينار » النهرواني أو « مدرسة أبى حكيم » وكانت بباب الازج بالجانب الشرقى انشأها للحنابلة أبو حكيم ابراهيم ابن دينار الحسنى المتوفى سنة ٥٥٦هـ (١١٦٠م) •

١٣ ـ « مدرسة أبى سعد المخرِّمى » بباب الازج من الجانب الشرقى بناها أبو سعد المبارك بن على بن الحسين وكانت للحنابلة • وقد عرفت بـ « مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلى » أو « المدرسة القادرية » أو « مدرسة ابن المخرِّمى » •

١٤ ـ « **المدرسة التُتُشية** » **أو** « **مدرسة** خمارتكين التتشى » المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م) وكانت بمشرعة درب دينار بالجانب الشرقى من بغداد وكانت للحنفية •

١٥ ـ « مدرسة ابن الابرادى » وهى مدرسة حنبلية بناها بالجانب الشرقى الفقيه الزاهد محمد بن احمد المعروف بابن الابرادى المتوفى سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦م) •

١٦ ـ « مدرسة سعادة » وهى من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية انشأها بالجانب الشرقى الامير عزالدين سعادة الرسائلى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦م) •

١٧ ـ « المدرسة الكمالية » أو « مدرسة ابن طلحة » بناها للشافعية كمال‌الدين حمزة بن على بن طلحة الشافعى المتوفى سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠م) وكانت تجاور داره بباب العامة وقد عرفت بمدرسة ابن الخل ايضا وهو أحد مدرسيها •

١٨ ـ « المدرسة الغياثية » نسبة الى غياث‌الدين مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى • وهى مدرسة للحنفية بالجانب الشرقى من بغداد •

١٩ ـ « المدرسة المغيثية » وهى مدرسة للحنفية بناها مغيث‌الدين محمود بن غياث‌الدين محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى •

٢٠ ــ « مدرسة الوزير » وهى مدرسة بناها الوزير عون‌الدين يحيى ابن هبيرة للحنابلة بباب البصرة بالجانب الغربى من بغداد · وقد تكاملت سنة ٥٥٧ هـ (١١٦١م) ·

٢١ ــ « مدرسة ابن الشمحل » وهى مدرسة للحنابلة بناها عمر بن الشمحل بالمأمونية من باب الازج فى الجانب الشرقى وتم افتتاحها سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠م) ·

٢٢ ــ « المدرسة الاسبابذية » أو « الاسبهبذية » بالجانب الشرقى بين الدربين ، وتكتب « الاصفهبذية » ايضا وهى مدرسة للشافعية سلمت **سنة ٦٠٤هـ الى أبى بكر السلامى المعروف بابن الحُبَيِّر بعد أن انتقل من** مذهب احمد الى مذهب الشافعى ·

٢٣ ــ « المدرسة البهائية » وهى مدرسة للشافعية بنيت على دجلة بالجانب الشرقى على مقربة من النظامية · ويظهر ان الحنفية استولوا عليها ثم اخذت منهم سنة ٥٦٦ هـ واعطيت للشافعية ·

٢٤ ــ « المدرسة النجيبية » أو « مدرسة أبى النجيب » السهروردى بالجانب الشرقى وهى مدرسة للشافعية تنسب الى عبدالقاهر بن عبدالله **البكرى الصدّيقي المتوفى سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧م) ولا تزال قائمة حتى‌اليوم** مقابل دار الضباط تشغلها مديرية اوقاف بغداد ·

٢٥ ــ « مدرسة الشاشى » وكانت بقراح ظفر من بغداد الشرقية بناها للشافعية ابو بكر محمد ··· بن عمر الشاشى البغدادى المتوفى سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣م) ·

٢٦ ــ « مدرسة أبى شجاع » البيّع بهرام بن بهرام المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) وكانت مدرسة للحنابلة بناها بباب الازج عند باب كلواذا ·

٢٧ ــ « المدرسة القيصرية » وكانت بالقرب من المدرسة النجيبية **بالجانب الشرقي من بغداد وقد درس فيها فخرالدين النّوقاني المتوفى** سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥م) ·

٢٨ ــ « مدرسة ابن الجوزى » أبى الفرج عبدالرحمن بن على البكرى **الصدّيقي المتوفى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) وقد بنيت للحنابلة بدرب دينار** بالجانب الشرقى ·

٢٩ ـ « مدرسة السلطان » وهى مدرسة للحنفية بناها السلطان ملكشاه السلجوقى بالجانب الشرقى ظاهر بغداد بمحلة « العلوازية » الحاليـة ٠

٣٠ ـ « مدرسة السلطان محمود » ولعلها المغيثية التى اسلفنا ذكرها ٠

٣١ ـ « مدرسة ابن الصقال » بالجانب الشرقى وربما كانت هى « الموفقية » ٠

٣٢ ـ « مدرسة ابن العطار » التى انشأها نصر ابن العطار فى الجانب الشرقى ٠

٣٣ ـ « مدرسة ابن البل » الدورى بالجانب الغربى ٠

٣٤ ـ « المدرسة الشرابية » وهى التى انشأها للشافعية شرف الدين اقبال الشرابى بالجانب الشرقى من بغداد وتم افتتاحها سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) ٠

٣٥ ـ « المدرسة المستنصرية » شرع المستنصر ببنائها سنة ٦٢٥هـ وتم افتتاحها سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣م) وهى اول جامعة اسلامية جمعت فيها المذاهب الاربعة ولا تزال أبنيتها قائمة على دجلة بالجانب الشرقى فى أسفل « جسر الشهداء » ٠

٣٦ ـ « المدرسة المجاهدية » نسبة الى مجاهد الدين ايبك المستنصرى الدواتى أمير الامراء المعروف بالدويدار وهو زوج ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وقد قتله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ فى واقعة بغداد ٠ وهو الذى بنى المدرسة المجاهدية للحنابلة ببغداد سنة ٦٣٧ هـ تجاه دار الدويدار الكبير ٠

٣٧ ـ « المدرسة البشيرية » قرب مشهد الشيخ معروف الكرخى بالجانب الغربى من بغداد ٠ أمرت بانشائها زوجة الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير وتم افتتاحها سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) بحضور المستعصم واولاده ٠

ثانيا ـ فى عهد المغول من سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) الى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧م)

١ ـ « المدرسة العصمتية » : وهى مدرسة على المذاهب الاربعة انشأتها

شاه لُبنى الملقبة بعصمةالدين وهى امرابعة المتوفاة سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) عند مشهد عبيدالله فى (الاعظميه) بالجانب الشرقى من بغداد ·

٢ ـ « مدرسة ابن الاثير » وهى مضافة الى مجدالدين محمد بن الاثير المقتول سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م) بناها ببغداد ودفن فيها ·

٣ ـ « مدرسة ابن قاضى دقوقا » وكانت على دجلة بباب الازج من الجانب الشرقى وهى مدرسة للحنفية أتم بناءها بهاءالدين عبدالوهاب المعروف بابن قاضى دقوقا التغلبى المتوفى سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩م) ودفن فيها · وكان أخوه فخرالدين التغلبى قد بدأ بانشائها سنة ٦٦٤ هـ ·

٤ ـ « المدرسة العلائية » الشاطئية : أنشأها علاءالدين على بن عبد المؤمن التركستانى سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٣م) على شاطىء دجلة مقابل « المدرسة النجيبية » بحضرة الجسر العتيق وهى من مدارس الجانب الشرقى ومحلها دار الضباط اليوم ·

٥ ـ « المدرسة الغزانية » أو « الغازانية » نسبة الى السلطان محمود غازان بالجانب الشرقى · انشأها بباب الظفرية خواجة رشيد الدين الحكيم الوزير ·

٦ ـ « المدرسة الامامية البكرية » بدرب فراشة بناها الملك امامالدين يحيى البكرى القزوينى صاحب ديوان بغداد المتوفى سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م) وقد دفن فى تربة عملها لنفسه فى مدرستة المذكورة ·

٧ ـ « المدرسة المرجانية » انشأها أمينالدين مرجان فى عهد الشيخ اويس خان الجلايرى سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٦م) لتدريس الفقه الشافعى والفقه الحنفى ولا تزال المدرسة قائمة حتى اليوم باسم « جامع مرجان » على شارع الرشيد بقلب بغداد الشرقية ·

٨ ـ « المدرسة الايكجية » وتنسب الى مخدوم شاه داية السلطان الملقبة ايكجى وكان لها مدرسة عظيمة ببغداد عمرتها سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١م) ·

٩ ـ « المدرسة المسعودية » : وكانت على المذاهب الاربعة عمرها خواجة مسعود بن منصور الهارونى الشافعى سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٣م) ·

١٠ ـ « المدرسة الاسماعيلية » : بناها اسماعيل وزير بغداد لغياث الدين ابن العاقولى المتوفى سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤م) ·

١١ ـ « المدرسة الوفائية » نسبة الى وفاء خاتون وقد بنتها فى حدود سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧م) ·

الفصل العاشر

المستوى العلمى فى المدارس الاسلامية

ولقد ثبت لنا بعد التحرى والاستقصاء عن طلبة المدارس المذكورة وعن العلماء والمشايخ وما انتجوه من مؤلفات ، وما اسدوا للفكر والثقافة العربية من خدمات ان المستوى العلمى وصل حدا عاليا يضاهى اليوم المستويات العلمية فى الجامعات العالمية المختلفة • وللبرهنة على ذلك نكتفى بالاشارة الى المستوى العلمى فى الجامعة المستنصرية • ويمكننا ان نذكر ان هذا المستوى العلمى فيها يتبين لنا من اربعة امور هى :ـ

١ ـ صفة الطلاب الذين كانوا يقبلون فى هذه الجامعة •

فقد عثرنا على طائفة كبيرة من المتفقهة يبلغ عددهم ٤٢ فقيها وقد ساعدتنا دراسة هذا العدد منهم الى حد بعيد على معرفة المستوى العلمى الذى كان عليه طلاب المستنصرية • ويمكننا ان نذكر فى هذا الصدد ان هؤلاء الطلاب كانون يُتخيرون من بين الفقهاء النابهين ليكونوا طلابا فيها أى بعد أن تكون لهم شهرة علمية فى التأليف او التدريس •

٢ ـ المستوى العلمى للشيوخ والمدرسين والمعيدين

وقد عثرنا فى هذه الجامعة على ٣٠ شيخا وقارئا للحديث وعلى (٨٥) مدرسا ومعيدا لتدريس الفقه على المذاهب الاربعة ، وهذا عدا شيوخ العربية ومعيديها ، وشيوخ دار القرآن ومعيديها وطلابها • وعدا مدرسة الطب والاقسام العلمية الاخرى •

وقد تبين لنا ان هؤلاء كانوا يُتخيرون من بين كبار العلماء والشيوخ فى العراق ، والشام ، ومصر وغيرها من البلاد الاسلامية ممن حصلوا على اسناد عال ، وانتهت اليهم رئاسة العلم ، او عرفوا بالبحث والتحرى عن الحقائق العلمية فى البلاد التى سافروا اليها ، وبما الفوا من الكتب القيمة التى ما زالت تعد من المصادر المهمة للثقافة العربية والفكر الاسلامى ، عدا ما اتلف منها اوضاع فى اثناء الكوارث التى حلت ببغداد عند سقوط الخلافة العباسية ، ، وعند تدمير تيمور لنك لبغداد مرتين وعندما هاجر من بغداد عدد كبير من علمائها الى خارج العراق ، حيث استطاعوا ان يحدثوا بعض الحركات العلمية على نطاق واسع فى الشام ، ومصر وخراسان ، وقد

كانت هجرتهم فرارا من الاجنبى الغاصب « حيث جرت بالعراق حروب ومحن، وطالت خطوب واحن(١) » .

وحسبنا أن نذكر للدلالة على الجو العلمى الذى امتازت به المستنصرية ان المعيدين فيها كانوا ينقلون منها احيانا « مدرسين » الى المدارس الاخرى.. كما ان المدرسين فى غيرها كانوا لا ينقلون الا الى الاعادة فيها(٢) .

ويلاحظ ان كثيرا من المعيدين فيهـا كانوا ممن اشتهروا بالتأليف ، وبرعوا فى العلوم والاداب ، ونابوا فى القضاء ، وتقلدوا المناصب المختلفة.

يضاف الى ما تقدم ان خزان الكتب فى مكتبتهـا كـانوا من العلمـاء الافذاذ ، والمؤرخين المشهورين ، كابن السـاعى وابن الفوطى ويـاقوت المستعصمى . بل انك لتجد بين المناولين للكتب وهم بمنزلة الفراشين من له سماع على الشيوخ والعلماء ، واجازات فى الرواية عنهم . واكثر من ذلك انك تجد بين الفراشين والبوابين فى المدارس البغدادية من اشـتهر بالعلـم ، والرواية ، ونسخ الكتب .

٣ ـ وسائل الايضاح فى المستنصرية

ولقد كان فى هذه الجامعة من الامور التى تساعد على رفع المسـتوى العلمى لطلابها ومدرسيها مؤسستان مهمتان .

الاولى : مستشفى يدرس فيه الطب . وقد اعتبرت المستنصرية ، مجالا حيويا جيدا له لاجراء التجارب الطبية ومعالجة المرضى .

الثانية : دار كتب عامرة بانواع المؤلفات . وقد ذكر المؤرخون ان ما حمل اليها عند افتتاحها سنة ٦٣١ هـ بلغ ثمانين الف كتاب ـ عدا ما حمل اليها بعد ذلك ـ وكانت هذه الدار تساعد طلاب العلم على النسخ ، والمطالعة، والتأليف مما ادى الى تقدم العلوم ورفع المستوى العلمى للطلاب والمدرسين .

٤ ـ نسبة المدرسين الى الطلاب

ويمكننا أن نتفهم علو المستوى العلمى الجامعى فى مدارس بغداد عامة وفى المستنصرية بوجه خاص من نسبة عدد المدرسين الى عدد الطلاب الذيـن

---

(١) ديوان صفى الدين الحلى ص ٦

(٢) ابن الفوطى ج ٤ الورقة ١٥١ وتاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٥٣_٥٥

كانوا يتلقون العلم عليهم فيها لان فى ذلك يقاس رقى الجامعات ، والمعاهد العلمية وتقدمها ٠

فاذا علمنا ان طلاب مدرسة الفقه فى المستنصرية كانوا ٢٤٨ طالبا وعدد المدرسين والمعيدين فيها ٢٠ شخصا فان نسبة المدرسين للطلاب هى :

٢٠ الى ٢٤٨

أى مدرس واحد لكل ١٢ر٤ طالبا ٠

وان فى دار القرآن ثلاثين طالبا ، ولهم شيخ واحد ومعيد واحد ولذلك فان نسبة المدرسين للطلاب تكون ٢ الى ٣٠ أى مدرس واحد لكل ١٥ طالبا٠

وان للحديث شيخا واحدا وقارئين ٠ اى مدرس واحد لكل ثلاثة طلاب من الطلاب العشرة الذين كانوا فيها ٠ وكان فيها طبيب واحد للطلاب العشرة المثبتين فيها لدراسة الطب ٠

لقد كان المجموع العام لطلاب هذه المدرسة يبلغ ٢٩٨ طالبا كانوا موزعين على الصورة الاتية :ـ

٢٤٨	طالبا او فقيها بمدرسة الفقه المستنصرية ٠
٣٠	طالبا بدار القرآن المستنصرية ٠
١٠	طلاب بدار الحديث المستنصرية ٠
١٠	طلاب بمدرسة الطب المستنصرية ٠
٢٩٨	

وكان مجموع اعضاء الهيئة التدريسية ، فى هذه الاقسام العلميةيبلغ ٢٩ عالما عدا شيخ الطلبة والمرتّب لكل طائفة وكانوا يتكونون من :

١	ناظر او وال واحد هو بمثابة رئيس الجامعة الادارى ٠
و٢٠	مدرسا ومعيدا بمدرسة الفقه ٠
و٢	من الشيوخ والمعيدين بدار القرآن ٠
و٣	من الشيوخ والقراء بدار الحديث ٠
ومن ١	طبيب واحد فى مدرسة الطب ٠
ومن ١	نحوى بمشيخة العربية فيها ٠
ومن ١	مدرس للرياضيات ٠
٢٩	

وبذلك يكون لكل عشرة طلاب مدرس واحد تقريبا ٠

اذا علمنا ذلك كله ادركنا علو المستوى العلمى لطلاب الجامعة المستنصرية ومدرسيها وان هذه النسبة تكاد تكون رقما قياسيا بالنسبة للدراسة الجامعية اليوم ٠

المراجع مرتبة بحسب وفيات المؤلفين

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف

١ الانساب لابن السمعانى المروزى التميمى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ
٢ المنتظم لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
٣ رحلة ابن جبير الكنانى المتوفى سنة ٦١٤ هـ
٤ معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ
٥ الكامل فى التاريخ لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ
٦ تاريخ بغداد لابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ
٧ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ
٨ الجامع المختصر لابن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤ هـ
٩ وفيات الاعيان لشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ
١٠ مفرج الكروب لابن واصل المازنى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ
١١ تلخيص مجمع الاداب فى معجم الاسماء والالقاب لابن الفوطى الشيبانى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ
١٢ الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ
١٣ ذيل مرآة الزمان لقطب الدين اليونينى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ
١٤ مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها لابن زفر الاربلى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ
١٥ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ
١٦ الوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ فى المطبوع منه وفى عدد من المجلدات المخطوطة .
١٧ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ
١٨ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ
* طبقات الشافعية للسبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ
١٩ منتخب المختار لابن رافع السلامى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
٢٠ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لعبدالقادر القرشى المتوفى سنة ٧٧٥ هـ
٢١ تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار لابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ

المراجع مرتبة بحسب وفيات المؤلفين

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف

٢٢ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

٢٣ العسجد المسبوك لابى الحسن الخزرجى المتوفى سنة ٨١٢ هـ

٢٤ شفاء الغرام باخبار البلد الحرام للحافظ تقى الدين الفاسى المكى المتوفى فى سنة ٨٣٢ هـ

٢٥ المواعظ والاعتبار للمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

٢٦ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

٢٧ طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ

٢٨ الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

٢٩ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ

٣٠ ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ليوسف بن عبدالهادى الدمشقى المتوفى سنة ٩٠٩ هـ

٣١ الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل لمجيرالدين العليمى المقدسى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ٠

٣٢ الدارس فى تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمى المتوفى سنة ٩٢٧هـ

٣٣ دور القرآن فى دمشق للنعيمى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ

٣٤ الاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطبالدين الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٩٨٨ هـ ٠

٣٥ شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ

* * *

٣٦ تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ، ٢ ـ ناجى معروف ٠

٣٧ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ـ ناجى معروف ٠

٣٨ التوقيعات التدريسية ـ ناجى معروف ٠

الفهرست

من آثار المؤلف المطبوعة

أولا ــ كتب ورسائل :

١ ــ المنتخبات الادبية · بغداد ــ مطبعة الكرخ سنة ١٩٣٥
٢ ــ المدرسة المستنصرية · بغداد ــ مطبعة دنكور سنة ١٩٣٥
٣ ــ مقدمة فى تاريخ المستنصرية وعلمائها · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٥٨
٤ ــ علماء المستنصرية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٥٩
٥ ــ تاريخ علماء المستنصرية فى مجلد واحد · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٥٩
٦ ــ المدخل فى تاريخ الحضارة العربية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٠
٧ ــ المدرسة الشرابية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦١
٨ ــ خطط بغداد · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦١
٩ ــ تثنية الاسماء التاريخية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٢
١٠ ــ التوقيعات التدريسية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٣
١١ ــ عروبة المدن الاسلامية · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٤
١٢ ــ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة · بغداد ــ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٥
١٣ ــ تاريخ علماء المستنصرية فى مجلدين · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٥
١٤ ــ مقدمة فى تاريخ مدرسة ابى حنيفة وعلمائها · بغداد ــ مطبعة العانى سنة ١٩٦٥
١٥ ــ علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية · بغداد ــ مطبعة الحكومة سنة ١٩٦٥
١٦ ــ نشأة المدارس المستقلة فى الاسلام · بغداد ــ مطبعة الازهر سنة ١٩٦٦
١٧ ــ حياة اقبال الشرابى · بغداد ــ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦
١٨ ــ مدارس واسط · بغداد ــ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦
١٩ ــ مدارس مكة · بغداد ــ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦

ثانيا ــ كتب للمؤلف مع مؤلفين آخرين :

٢٠ ــ المطالعة العربيـــة الحديثة ثلاثة أجزاء · بغــداد ــ مطبعة النجاح سنة ١٩٣٤

٢١ ــ تاريخ العرب (عدة طبعات بعدة مطابع) سنة ١٩٤٩ فما بعدها

٢٢ ــ موجز تاريخ الحضارة العربية (عدة طبعات بعدة مطابع) ــ بغداد سنة ١٩٤٩ فما بعدها

٢٣ ــ دروس التاريخ (عدة طبعات بعدة مطابع) ــ بغداد

٢٤ ــ تاريخ العرب فى القرون الوسطى (عدة طبعات بعدة مطابع) ــ بغداد

ثالثا ــ بحوث مختلفة فى المجلات العراقية : كمجلة كليـــة الآداب ومجلة الكتاب ، والاقلام والمعلم الجديد والاجيال ·· ومجلة كلية الشريعة ··· الخ

١ ــ تكوين رأى عام لعقد مجمع للتشريع الاسلامى

٢ ــ اسلوب البحث العلمى عند المحدثين

٣ ــ تكوين الجيل الصالح

٤ ــ بلاد اوربية حضرها العرب

٥ ــ أول تأميم فى العراق

٦ ــ أول جامعة ببغداد

٧ ــ الضمان الاجتماعى فى الاسلام

٨ ــ موارد الضمان الاجتماعى فى الاسلام

٩ ــ ضوء جديد على أوقاف المستنصرية

١٠ ــ مشروع الضحية

١١ ــ خزانة المستنصرية

١٢ ــ مدارس الشرابى وأعماله الخيرية ·

١٣ ــ عصر الشرابى ببغداد

Origin and Development

OF

COLLEGES IN ISLAM

by

Prof. Naji Ma'rouf

Member Public Civil Service Board

---o---

Al-Azher Press, Baghdad 1385 A. H

1966 A. D